

قصة آية

29

كنتم خير أمة أخرجت للناس

بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
إشراف : أ. حمدي مصطفى

مطبوع ونشر
المؤسسة العربية للدراسات

للدراسات والنشر والتوزيع

1000 - 1000 - 1000

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ

قَالَ (تعالى) :

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ
أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ
وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾

[سورة آل عمران : ١١٠]

التَّقَى مَالِكُ بْنُ الصَّيْفِ وَوَهْبُ بْنُ يَهُوذَا
الْيَهُودِيَّانِ بِجَمَاعَةٍ مِنْ صَحَابَةِ الرَّسُولِ ﷺ ،
وَهُم عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ، وَأَبِي بْنُ كَعْبٍ ،
وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، وَسَالِمُ مَوْلَى أَبِي حَذِيفَةَ .
وَكَانَ لَدَى الْيَهُودِيِّينَ الرُّغْبَةُ فِي إِيْذَاءِ

مَشَاعِرِ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ أَحَدُهُمَا :

- كَيْفَ تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ خَيْرُ الْأُمَمِ؟

وَقَالَ الْآخَرُ :

- نَحْنُ أُمَّةُ الْيَهُودِ خَيْرُ الْأُمَمِ ، وَنَحْنُ

أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاءُهُ ، فَضَّلْنَا عَلَى كُلِّ الْأُمَمِ

وَأَثَرْنَا عَلَى غَيْرِنَا .

وَلَمْ يَزِدِ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنْ قَالُوا :

- إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ

عِبَادِهِ .

ثُمَّ أَضَافُوا :

- إِنَّا نَصَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَوَيْنَاهُ ،

وَهَاجَرْنَا مِنْ دِيَارِنَا طَاعَةً لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَلَيْسَ
بَحْثًا عَنِ الشُّهْرَةِ أَوْ الْمَصَالِحِ ، وَنَسْأَلُ
اللَّهِ (تَعَالَى) أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنَّا صَالِحَ الْأَعْمَالِ .

وَأَنْتَهَزَ الْمُسْلِمُونَ الْفُرْصَةَ وَقَالُوا :

لَمَّاذَا لَا نَدْعُو هَذَيْنِ الْيَهُودِيِّينَ إِلَى
الْإِسْلَامِ ، وَقَدْ يَشْرَحُ اللَّهُ صَدْرِيهِمَا
لِلْإِسْلَامِ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : لِأَنَّ يَهْدِي
اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا .

قَالَ الْمُسْلِمُونَ :

— هَلْ نَدْلُكُمَا عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمَا فِي
حَيَاتِكُمَا وَبَعْدَ مَمَاتِكُمَا ؟

فَقَالَ الْيَهُودِيَّانِ :

- وَمَا هُوَ ؟

فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ :

- أَنْ تَتْرُكُوا هَذَا الْجِدَالَ ، وَتَقْبِلُوا عَلَى

الْإِسْلَامِ بِعُقُولِكُمْ وَقُلُوبِكُمْ ، فَإِنْ

وَجَدْتُمُوهُ خَيْرًا أَسْلَمْتُمْ وَإِنْ وَجَدْتُمُوهُ غَيْرَ

ذَلِكَ فَأَنْتُمْ وَشَأْنُكُمْ !

ابْتَسَمَ الْيَهُودِيَّانِ وَقَالَا فِي سُخْرِيَةٍ :

- لَقَدْ سَبَقْتُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَأَخْبِرُونَا

أَنْتُمْ بِمَا وَجَدْتُمُوهُ فِيهِ ، وَهَلْ يَسْتَحِقُّ أَنْ

نَتْرُكَ مِنْ أَجْلِهِ دِينَنَا ؟

فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ :

— إِنَّهُ دِينٌ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ،
وَيُسَاوِي بَيْنَ النَّاسِ جَمِيعًا ، فَلَا فَضْلَ لَأَبْيَضَ
عَلَى أَسْوَدَ وَلَا لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ إِلَّا بِالتَّقْوَى .
وَقَاطَعَ الْيَهُودِيَّانِ الْمُسْلِمِينَ بِقَوْلِهِمَا :
— مَا هِيَ إِلَّا مُجَرَّدُ كَلِمَاتٍ تَسْتَمِيلُونَ بِهَا
النَّاسَ إِلَى دِينِكُمْ .

فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ :

— هَذِهِ هِيَ مَبَادِيُ الْإِسْلَامِ كَمَا أَمَرَنَا اللَّهُ
(تَعَالَى) بِهَا ، وَقَدْ يَكُونُ مِنْ بَيْنِ
الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَلْتَزِمُ بِهَا وَمَنْ لَا يَلْتَزِمُ بِهَا .

وَأَضَافُوا قَائِلِينَ :

- عَلَى آيَةِ حَالٍ ، فَإِنَّ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ

وخاصَّة الصَّالِحُونَ مِنْهُمْ هُمُ أَهْلُ الْفَضْلِ

وَهُمُ الشُّهَدَاءُ عَلَى النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا

أَخْبَرَ اللَّهُ (تَعَالَى) بِذَلِكَ .

وَشَعَرَ الْمُسْلِمُونَ بِنَظَرَاتِ الْيَهُودِيِّينَ

الْمُسْتَنْكَرَةِ فَأَخَذُوا يَشْرَحُونَ لَهُمَا سِرَّ

تَفْضِيلِ اللَّهِ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَقَالُوا :

- إِنَّ اللَّهَ فَضَّلَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ لِأَنَّهَا

تُحَافِظُ عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ

الْمُنْكَرِ ، وَكُلَّمَا ظَهَرَ فِيهِمْ أَعْوِجَاجٌ قَوْمُوهُ

وغيروه بالسنتهم وأيديهم .

وهنا صمت اليهوديان ولم يتكلما ؛ لأن
بنى إسرائيل كانوا لا يفعلون ذلك ،
فكانوا لا يأمرُونَ بالمعروف ولا يتناهون
عن المنكر ولا يعينون المظلوم .
قال الله (تعالى) فيهم :

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ
دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا
يَعْتَدُونَ ﴾ ٧٨ ﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ
فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾

[سورة المائدة : ٧٨ ، ٧٩]

وواصل المسلمون دعوة اليهوديين إلى

الإسلام ، لكنهما أصمّا آذانهما وفضلاً

الانْسِحَابَ وَقَالَا فِي ضَيْقٍ :

— مَهْمَا تَقُولُوا فَلَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ ، فَإِنَّ دِينَنَا
خَيْرٌ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ ، وَنَحْنُ خَيْرٌ وَأَفْضَلُ
مِنْكُمْ .

ثُمَّ مَضَيَا إِلَى حَالِ سَبِيلِهِمَا ، بَيْنَمَا بَقِيَ
الْمُسْلِمُونَ يَتَعَجَّبُونَ فِي دَهْشَةٍ وَأَخَذُوا
يُرَدِّدُونَ :

اللَّهُمَّ قَدْ بَلَّغْنَا ، اللَّهُمَّ فَاشْهَدْ .

وَأَنْزَلَ اللَّهُ (تَعَالَى) عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ يَرُدُّ
عَلَى هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ وَيَفْنَدُ مَزَاعِمَهُمْ

وَادْعَاءَاتِهِمْ بِقَوْلِهِ (تَعَالَى) :

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ
أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ
وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .

وَبِذَلِكَ أَنْزَلَ اللَّهُ (تَعَالَى) شَهَادَتَهُ مِنْ
فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ يَشْهَدُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ
وَيَعْتَرِفُ بِقَدْرِهَا وَفَضْلِهَا عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ .

وَاخْتِيَارُ اللَّهِ لِأُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ اخْتِيَارٌ لَيْسَ
فِيهِ مُحَابَاةٌ ، وَلَكِنَّهُ اخْتِيَارٌ مَشْرُوطٌ
بِالتَّزَامِ الْمُسْلِمِينَ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ
وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَالْإِيمَانِ بِاللَّهِ

وَنَشْرُ رِسَالَةَ الْإِسْلَامِ فِي الْأَرْضِ ، وَدَعْوَةَ
النَّاسِ إِلَى الْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ .

وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

- « أَنْتُمْ تَتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً ، أَنْتُمْ خَيْرُهَا

وَأَكْرَمُهَا عِنْدَ اللَّهِ » (رواه الترمذی)

وَقَالَ ﷺ :

- خَيْرُ الْقُرُونِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ،

ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ . (متفق عليه)

فَالصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ هُمْ أَفْضَلُ

الْمُسْلِمِينَ وَخَيْرُهُمْ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ آمَنُوا

بِاللَّهِ حَقَّ إِيْمَانِهِ ، وَتَحْمَلُوا التَّعْذِيبَ وَالْإِيْذَاءَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَمَا غَيْرُوا مَوْقِفَهُمْ
وَلَا فُتِنُوا فِي دِينِ اللَّهِ .

وَقِصَّةُ يَاسِرِ بْنِ عَامِرٍ وَزَوْجَتِهِ السَّيِّدَةِ
سُمَيَّةَ وَابْنَيْهِمَا عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ مَعْرُوفَةٌ
وَمَشْهُورَةٌ ، حَيْثُ كَانَ الْكُفَّارُ يُعَذِّبُونَهُمْ
كُلَّ يَوْمٍ عَذَابًا شَدِيدًا ، حَتَّى إِنَّهُمْ كَانُوا
يَقُولُونَ لِلرَّسُولِ ﷺ كَلِّمْنَا رَأَوْهَ :

— أَلَا تَدْعُونَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟

فَيَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ :

— صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةَ .

وَقِصَّةُ تَحْمِلِ بِلَالِ بْنِ رَبَاحٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ
مَسْعُودٍ وَخَبَّابِ بْنِ الْأَرْتِ وَغَيْرِهِمْ مَعْرُوفَةٌ ،
حَيْثُ تَحْمَلُوا مَا يَفُوقُ قُدْرَةَ الْبَشَرِ ،
وَتَمَسَّكُوا بِدِينِهِمْ حَتَّى نَصَرَهُمُ اللَّهُ .

كَمَا التَّزَمَ الصَّحَابَةُ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ
وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، فَكَانُوا لَا يَسْكُتُونَ
عَنْ نُصْرَةِ الْحَقِّ وَمُقَاوَمَةِ الظُّلْمِ ، وَكَانُوا
يَتَنَاصَحُونَ دَائِمًا وَيَذْكُرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِذَا
أَخْطَأَ أَوْ نَسِيَ .

فَفِي أَوَّلِ خُطْبَةِ خُطْبِهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قَالَ :

— أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَجَدْتُمْ فِيَّ اعْوِجَاجًا

فَقَوْمُونِي ، وَإِنْ وَجَدْتُمْ فِي صَلَاحًا وَاسْتِقَامَةً
فَاعِينُونِي .

فَقَالَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ :

- وَاللَّهِ ، لَوْ وَجَدْنَا فِيكَ اعْوِجَاجًا لَقَوْمْنَاهُ
بِسُيُوفِنَا .

وَلَمْ يَغْضَبْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَهُوَ خَلِيفَةُ
الْمُسْلِمِينَ بَلْ حَمِدَ اللَّهَ عَلَى هَذِهِ الرُّوحِ وَقَالَ :

- الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ ﷺ

مَنْ يَقُومُ الْخَلِيفَةُ بِسَيْفِهِ إِذَا أَخْطَأَ .

وَنَحْنُ - الْمُسْلِمِينَ - الْآنَ أَمَامَنَا الْفُرْصَةُ

لِكَيْ نَقْتَدِيَ بِالصَّحَابَةِ وَنَتَشَبَّهُ بِهِمْ ، حَتَّى

يَكُونَ لَنَا مِثْلُ أَجْرِهِمْ .

فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ مَعَ أَصْحَابِهِ

إِذْ قَالَ :

- أَتَدْرُونَ أَىُّ الْخَلْقِ أَفْضَلُ إِيمَانًا ؟

فَقَالَ الصَّحَابَةُ :

- الْمَلَائِكَةُ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

- وَحَقَّ لَهُمْ بَلْ غَيْرُهُمْ . أَىُّ هَذَا أَمْرٌ

طَبِيعِيٌّ ، فَمَنْ مِنَ الْبَشَرِ ؟

فَقَالُوا :

- الْأَنْبِيَاءُ .

فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَحَقُّ لَهُمْ بَلْ غَيْرُهُمْ ، ثُمَّ قَالَ :

- أَفْضَلُ الْقَوْمِ إِيمَانًا قَوْمٌ فِي أَصْلَابِ

الرِّجَالِ يُؤْمِنُونَ بِي وَلَمْ يَرَوْنِي ، يَجِدُونَ

وَرَقًا فَيَعْمَلُونَ بِمَا فِيهَا ، فَهُمْ أَفْضَلُ الْخَلْقِ

إِيمَانًا .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا يَقْرُبُ إِلَيْهَا

مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ

وَمَا يَقْرُبُ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ !